ان رجلا قال يا رسول الله حدثني بحديث واجعله موجزا فقال صل صلاة مودع
فانك ان كنت لا تراه فانه يراك وفي حديث حارثة المشهور وقد روي من وجه
مرسل وروي متصلا والمرسل اصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف اصبحت يا حارثة
قال اصبحت مؤمنا حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يا رسول الله
عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمأت نهاري وكأني بعرش ربي بارزا
وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكأني انظر الى اهل النار كيف يتعاوون
فيها قال ابصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه وروي من حديث ابي امامة رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم وصى رجلا فقال له استحي من الله استحياءك رجلين
من صالحي عشيرتك لا يفارقانك ويروى من وجه آخر مرسلا ويروى عن معاذ ان النبي
صلى الله عليه وسلم وصاه لما بعثه الى اليمن فقال استحي من الله كما تستحي من رجلا ذا هيبة
من اهلك وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن كشف العورة خاليا فقال الله احق ان يستحى منه
ووصى ابو الدرداء رجلا فقال اعبد الله كأنك تراه وخطب عروة ابن الزبير الى عمر
ابنته وهما في الطواف فلم يجبه ثم لقيه بعد ذلك فاعتذر اليه وقال انا في الطواف
نتخايل الله بين اعيننا خرجه ابو نعيم وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم فان لم تكن
تراه فانه يراك قيل انه تعليل للاول فان العبد اذا امر بمراقبة الله في العبادة و
استحضار قربه من عبده حتى كأنه العبد يراه فانه قد يشق ذلك عليه فيستعين على
ذلك بايمانه بان الله تعالى يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره
ولا يخفى عليه شيء من امره فاذا حقق هذا المقام سهل عليه الانتقال الى المقام
الثاني وهو دوام التحقيق بالبصيرة الى قرب الله من عبده ومعيته حتى كأنه
يراه وقيل هو الى من شق عليه ان يعبد الله كأنه يراه فليعبد الله على انه ان الله يراه
ويطلع عليه فليستحي من نظره اليه كما قال بعض العارفين اتق الله ان يكون



اهون الناظرين اليك وقال بعضهم خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه
على قدر قربه منك قال بعض العارفات من السلف من عمل لله على المشاهدة
فهو عارف ومن عمل على مشاهدة الله اياه فهو مخلص فاشارت الى المقامين اللذين
تقدم ذكرهما احدهما مقام الاخلاص وهو ان يعمل العبد على استحضار مشاهدة
الله اياه واطلاعه عليه وقربه منه فاذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو
مخلص لله لان استحضار ذلك في عمله يمنعه من الالتفات الى غير الله وارادته
بالعمل الثاني مقام المشاهدة وهو ان يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله بقلبه
وهو ان تنور القلب بالايمان وتتفتح البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان وهذا هو حقيقة مقام الاحسان المشار اليه من حديث جبريل عليه الصلاة
والسلام وتتفاوت اهل هذا المقام فيه بحسب قوة تفتح البصائر وقد فسر طائفة
من العلماء المثل الاعلى المذكور في قوله عز وجل ولله المثل الاعلى في السموات والارض
بهذا المعنى وسئله قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة
فيها مصباح والمراد مثل نور قلب المؤمن كذا قاله ابي بن كعب وغيره من
السلف وقد سبق حديث افضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيث كنت وحديث
ما نزكية المرء نفسه قال ان يعلم ان الله معه حيث كان وخرج الطبراني من حديث
ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة في ظل الله يوم لا ظل الا ظله رجل
حيث توجه علم ان الله معه وذكر الحديث وقد دل القرآن على هذا المعنى في مواضع
متعددة كقوله تعالى واذا سئلك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا
دعاني وقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا وقوله
وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)